موقف الدروز من الثورات السورية (١٩٢٠-١٩٢٥)

أ.م ميثم علي نافع

جامعة الامام جعفر الصادق(ع)

موقف الدروز من الثورات السورية (١٩٢٠-١٩٢٥)

ا.م ميثم علي نافع

ملخص البحث :

ان الثورات السورية كانت تعكس شيئا اصيلا في روح الدروز وكانت موضع اعجاب عظيم من اهل البلاد ، وقدمت ابطالها وشهدائها الحقيقيين واصبحت حدثا تاريخيا بطوليا في التراث الوطني السوري ،

وكان القصف الفرنسي يعزز من روح المقاومة والوحدة الوطنية للسوريين .

تم قطاف ثمار هذه السنوات بالحصول على استقلالها والمحافظة على وحدتها وعدم تقسيمها الى دويلات كما ارادت فرنسا .

الكلمات المفتاحية : الدروز – الثورات – سوريا

Abstract

The Syrian revolutions reflected something authentic in the spirit of Druze revolutionaries , and the were the subject of great admiration from the people of the country . They presented their true heroes and martyrs and become a heroic historical event in the Syrian national heritage . The French bombing strengthened the spirit of resistance and national unity for the Syrians . And the fruits of these years were harvested by obtaining its independence , preserving its unity , and not dividing it into states as France wanted .

Keywords: Druze – Revolutions – Syria .

تمهيد:

تناول الكثير من الباحثين والمؤرخين الثورات السورية ، الا أنه لم اجد بينهم من تناول دور الدروز في هذه الثورات بشكل خاص ، ومن هنا جاء اختياري لموضوعة البحث (موقف الدروز من الثورات السورية ١٩٢٠-١٩٢٥) لابراز اهمية وبيان دورهم التاريخي ، وتطرق البحث الى الثورة العربية والحكومة الفيصلية لبيان دور الدروز عربيا ثم بعدها تناولت ثورة ١٩٢٠ وثورة ١٩٢٢ وثورة ١٩٢٥ الكبرى .

اعتمدت في كتابة البحث على المذكرات الشخصية لرجالات الثورة وبعض الصحف التي صدرت في فترة مواكبة وقريبة من تاريخ الثورات ، اضافة الى كتب عربية واجنبية مترجمة تناولتها من وجهات نظر واراء مختلفة ، اما الصعوبات تمثلت في قلة المصادر التي تشير الى دور الدروز في هذه الثورات .

الثورة العربية عام ١٩١٦

كان الكثير من زعماء جبل الدروز(العرب) قد انضموا الى الثورة العربية وشاركوا في معاركها، وكان سلطان الاطرش في مقدمتهم وقائدهم بل حرزهم وضمانتهم ضد اي عمل تعسفي وانتقامي تقوم به الحكومة ضدهم ، بدات اتصالات سلطان الاطرش مع فيصل بن الحسين عندما كان يقيم في قرية القابون احدى القرى السورية التابعة لال البكري ، وقد زاره مع عدد من زعماء الجبل وتناقشوا معه في شأن الثورة على الاتراك وسبل قيادتها ونجاحها (سلطان ،٢٠٠١، ص٤٦) .

من الجدير بالذكر ان مجموعة من زعماء جبل الدروز انضموا الى تنظيم (الجمعية العربية الفتاة) مثل اسعد مرشد وحسين نايف الاطرش وعارف الشهابي وغيرهم ، وحين بدا جمال باشا العثماني في ملاحقة احرار العرب في بلاد الشام ، التجى الاحرار الى جبل الدروز ومن بينهم الامير عبد القادر الجزائري ، في الوقت الذي لم ينظم سلطان الاطرش الى (الجمعية العربية الفتاة) ، الا انه كان يلتقي معها في الغاية ويعمل مع اعضائها في الساحة نفسها ويوفر لهم الحماية التي كانوا بامس الحاجة اليها ، ولان الظروف كانت تتوجب

العمل بشكل سري لكي يتحاشوا معرفة اسمائهم ، بالوقت الذي تملص الكثير من تقديم المساعدة لهم او ايوائهم والهروب من المسؤولية (الثورة العربية ، د. ت ص٢٥٩) .

غادر فيصل دمشق واصبح نسيب البكري واسطة اتصال بينهما وبين سائر زعماء جبل الدروز وبعد مدة من الزمن حظر فيصل الى ام الرمان ونقل اليهم اعلان الثورة فباركوا الخطوة واعلنوا تاييدهم له (يقظة العرب ، ١٩٧٨ ، ص٣٢٢) ، وعلى اثر ذلك وزع سلطان الاطرش منشورا دعا الى اعلان الثورة وحث الهمم ، ثم احتفل برفع العلم العربي فوق داره بمباركة العديد من احرار العرب ، ودعا الى عقد الاجتماع في بلدته وكان من نتائج الاجتماع التحاق المزيد من الشباب الدرزي بالانضمام الى الجيش العربي في القصبة بعد ان كان متعب الاطرش وحسين الاطرش قد التحقا بالثورة في الحجاز مع الشريف حسين (سلطان الاطرش ،٢٠٠١ ، ص٤٨)

وعندما عرفت السلطة العثمانية بالحملة التي قام بها الدروز ، طلبت السلطة العثمانية من اعيان وقادة قرى جبل الدروز (العرب) الحظور الى مدينة درعا ، لكن ذلك لم يؤثر في مقاتلي الحملة او الذين حرضوا عليها ، لان رجال الجبل قد استعدوا لتحدي اجراءات وتدابير الاتراك و حتى كان لهم الاستعداد لاعلان الثورة ضدهم وهذا ما جعل جمال باشا يضمر الحقد والشر في نفسه لابناء جبل الدروز (التعريف ، ١٩٦٢ ،ص٥٠-٥١) .

كان سلطان الاطرش يتابع مجريات الاحداث ويتابع زحف الجيش العربي نحو جهة الاردن وجيش الحلفاء وتقدمها باتجاه فلسطين ، فوصلته في اواخر شهر كانون الاول ١٩١٧ رسالة من نسيب البكري يقول فيها :

((الجيش الحجازي طهر مكة المكرمة من الاتراك ، وجيش الحلفاء المنضم اليه الجيش السوري قد افتتح بئر سبع عن طريق غزة في ٣١ تشرين الاول ١٩١٧ ويافا في ٢٦ تشرين الثاني والقدس في ٩ كانون الاول ، وعليه كن على استعداد مع رجال حزبك ، وقريبا سندخل جبلكم المنيع بواسطتكم ... الله ينصر العرب)) (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص ٤٨) بعد انتصار الجيش العربي باتجاه الشمال وسيطرته التامة على منطقة الازرق وبمساعدة الدروز واتخاذها مقرا له وتعد هذه المنطقة مقدمة بادية الشام وغير مملوكة لاحد ،

لكنها تعد منطقة درزية وملحقا بالدروز في نظر قبائل البدو الرحل (خطط الشام ، ١٩٧٠ ،ص١٥١) .

ويبدو لي ان الدروز اصبحوا يمثلون علامة ودلالة واضحة في اخلاصهم بعد ان مدوا يد العون للجيش العربي بالمال والجاه والسلطة فضلا عن ذلك مشاركتهم الفعلية في المعارك والذود بانفسهم في سبيل الحرية والاستقلال والخلاص من السيطرة الاستعمارية العثمانية ، لذا يستحقون كله التقدير والاحترام .

اتفق المؤرخون على ان سلطان الاطرش والدروز الذين اشتركوا في المعارك اول من دخل دمشق مساء الثلاثين من ايلول ١٩١٨ ، اي قبل دخول الجيش الاسترالي والجيش العربي (الصراع الدولي ، ١٩٧٧ ، ص٢١٦-٢١٧ ؛ الحركة العربية ، ١٩٧٧ ، ص٣٢٠) .

استنهض سلطان الاطرش الهمة والنخوة العربية في روح اتباعه وتسابقوا فيما بينهم لرفع العلم العربي في دمشق قبل وصول الانكليزي اليها ووعد بمكافأ مالية لمن يقوم بذلك ، فتبرع داوود طربين لرفع العلم العربي على سراي الولاية (التعريف ، ١٩٦٢ ، ص٥٢) ، وفي هذه المناسبة انشد معدي المغوص احد مرافقي سلطان الاطرش ابيات شعرية اثناء رفع العلم العربي منها :

عرش المظالم انهدم والعز طاب بلادنا
راحت عليكم ياعجم خوض المعارك داينا
حنا حماتك يا علم با ارواحنا واكبادنا

(تاريخ رجالات ، ١٩٦١ ، ص٣٢)

ويمكن القول بان هذه الابيات الشعرية شهادة تاريخية لدور الدروز الحقيقي في هذه المعركة التاريخية التي كانت بداية لصراع حقيقي بوجه المستعمرين الجدد .

ذكر سلطان الاطرش انه ((دخلنا المدينة من جهة الميدان في ٣٠ ايلول ١٩١٨ ووصلنا الى ساحة المرجه ورفعنا فوق دار الحكومة العلم العربي الذين كان يخفق في مقدمة

حملتنا منذُ خروجنا من الجبل من حيث كانت فلول الجيش العثماني تخلي المدينة وتنسحب منها باتجاه الشمال)) (تاريخ الثورات ، ١٩٦٠ ، ص٢٣٣) .

دخل فيصل بن حسين دمشق دخول المنتصرين الاحرار في الثاني /تشرين الاول /١٩١٨ وسط الفرح والحفاوة و الاستقبال عز نظيرها ، وذهب سلطان الاطرش للسلام عليه فقابله فيصل بحفاوة بالغة واثنى على اعماله وبطولات فرسان جبل الدروز (العرب) وخدماتهم للثورة (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩ ، ص٥٤) .

ويمكن القول ان فيصل بن حسين كان مدركا تماما لدور الدروز وقائدهم الفاعل والمؤثر في انتصار الثورة على الاتراك من خلال الاشادة به وباتباعه .

الحكومة العربية الفيصلية في سوريا :

بعد خمسة ايام من تحرير دمشق من السيطرة العثمانية اصدر فيصل بن الحسين بيانا شكر فيه الشعب العربي السوري على ما ابداه من تعاون وتضحية مع الجيش العربي (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٥) .

اعلنت الحكومة العربية في ٣٠/ ايلول /١٩١٨ في دمشق التي كان يرأسها فيصل بن الحسين شريف مكة عن تشكيل حكومة عربية دستورية مستقلة في جميع الاراضي العربية السورية ، وكان سلطان الاطرش الدرزي مستشارا لفيصل الى ان ترك دمشق بعد فترة قليلة من تشكيل الحكومة العربية لترفعه وزهده في المناصب وعدم قناعته ورضاه عن سياسة بعض اتباع فيصل ، لكن سلطان الاطرش ظل على اتصال بفيصل والتعاون معه ورفض تسلم اي وضيفة في الحكومة العربية بالرغم من الحاح فيصل عليه (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠، ص١٦) .

تشكلت لجنة كنج – كرين على اثر الاختلاف الذي حدث بين فيصل والصهاينة المدعومين من قبل فرنسا و بريطانيا في مؤتمر الصلح بباريس ١٩١٩ من قبل الرئيس الامريكي ولسن الذي اختار هنري كنج رئيس كلية اوبرك الامريكية والمستر تشارلس كرين الذي اهلته لتلك المهمة تجربته الواسعة واستقلاله (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠، ص ١٧) . وصلت اللجنة الى سوريا في ١٠/حزيران/ ١٩١٩ وقامت بجولات وزيارات تحقيقية لمعظم

الولايات التي تشكل بلاد الشام ، وعدت تقريرا سلمته الى سكرتارية الولاية المتحدة الامريكية في باريس في ٢٨/ اب / ١٩١٩ ورفعت نسخة منه الى الرئيس ولسن في فترة لاحقه (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص١٨) .

عقد المؤتمر السوري العام في دمشق في ٢/ تموز /١٩١٩ الذي اصدر مجموعة من القرارات التي تحدد الاهداف الوطنية في سوريا وفلسطين والعراق منها :

الغاء اتفاقية سايكس- بيكو ووعد بلفور واي مشروع لتقسيم سوريا وانشاء دولة يهودية في فلسطين، ورفض جميع الوصايا السياسية وقبول المعونة الاجنبية الامريكية وبعدها البريطانية بشرط ان لا تتعارض مع الاستقلال الوطني والوحدة القومية ورفض المعونة الفرنسية في اي شكل من الاشكال (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠،ص١٩).

ظهرت عملية التحدي العربي السوري للسيطرة الاستعمارية في اجتماع المؤتمر السوري العام في دمشق في ٦/ اذار /١٩٢٠ واصداره قرارا اعلن فيه استقلال سوريا بما فيها فلسطين ولبنان وجعلها دولة ملكية دستورية ذات سيادة تحت حكم الملك فيصل بن الحسين ويحق للبنان الحكم الذاتي المكتسب داخل اطار الوحدة السورية (تاريخ العالم ،٢٠٠٠ ، ص٢١) .

اجتمع المجلس الاعلى لدول الحلفاء في سان ريمو في ايطاليا بتاريخ ٢٥/ نيسان /١٩٢٠ بفرض نظام الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين وفرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠ ، ص١٩) .

وجه الجنرال غورو قائد القوات الفرنسية في لبنان في ١٤/ تموز /١٩٢٠ انذاره النهائي لفيصل ملك سوريا الذي تضمن شروطا منها :

الغاء التجنيد وتخفيض عدد الجيش العربي وقبول الانتداب الفرنسي قبولا غير مشروط وتداول العملة التي فرضتها الادارة الفرنسية ومعاقبة الاشخاص الذين عرفوا بالاعمال العدائية ضد الفرنسيين (تاريخ العالم ، ٢٠٠٠، ص٢١) .

معركة ميسلون

عقد مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ للدول الكبرى في ايطاليا وكانت قراراته تثبيتا وتطبيقا وترسيخا للاتفاقيات السرية التي عقدت ابان الحرب العالمية الاولى منها اتفاقية سايكس- بيكو لضمان مصالح الدول الاستعمارية الكبرى .

وبعد انقضاء المؤتمر ، بدأت العلاقات بين العرب والفرنسيين تتوتر وتزداد سوءاً وبدأت الصدامات بين القوات العربية والفرنسية في تموز ١٩٢٠ بعد ان وجه الجنرال غورو قائد القوات الفرنسية في١٤/تموز / ١٩٢٠ انذارا نهائيا لفيصل بن الحسين ملك سوريا وتضمن خمسة شروط :

١-قبول الانتداب الفرنسي قبولا غير مشروط .

٢-الغاء التجنيد وتخفيض عدد الجيش العربي .

٣-تداول العملة التي فرضتها الادارة الفرنسية .

٤- تسليم سكة حديد رياق – حلب الى السلطة العسكرية الفرنسية .

٥-معاقبة الاشخاص الذين عرفوا بالتورط ضد الفرنسيين (تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠ ،ص١٥٨).

وحدد الجنرال غورو فترة اربعة ايام للانذار ، وفي حالة قبول الشروط يجب ان لا تعرقل سير الجيوش الفرنسية لاحتلال سوريا ، اما اذا كان الجواب بالرفض فان مسؤولية الويلات التي ستنتصب على البلاد يتحملها فيصل وستصبح فرنسا حرة في اعمالها ، وقد قبل فيصل بهذه الشروط مما تسببت في حالة هياج الرأي العام في سوريا.

فوجى السوريون بان الجيوش الفرنسية تتجه نحوه دمشق دون ان تصادف اي مقاومة بسبب تسريح الجيش السوري (تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠ ،ص١٦١) .

تقدمت القوات الفرنسية باتجاه دمشق واستطاعت في ٢٤/ تموز / ١٩٢٠ من الانتصار على المقاومة العربية بفضل الفارق الكبير الذي امتلكه الجيش الفرنسي من الاسلحة والامكانيات العسكرية والاستعدادات قياسا لما امتلكته القوات السورية والمقاومة العربية وكانت معركة ميسلون معركة قوية حسمت لصالح المحتل الفرنسي وفتحت الطريق الى دمشق والتي استشهد فيها وزير الدفاع يوسف العظمة عند ممر ميسلون ولم تفلح

المقاومة العربية في ايقاف القوات الفرنسية ذات الامكانيات الضخمة فاستشهد الكثير من المقاتلين العرب ، فسقطت الحكومة العربية في دمشق وغادر فيصل في ٢٨/تموز /١٩٢٠ سوريا متجها الى اوربا بهدف مواصلة النشاط السياسي بشأن القضية العربية السورية (تاريخ العالم ،٢٠٠٠ ،ص٢٢-٢٣) .

لم يتسنى لدروز حوران البالغ عددهم ثلاثة الاف مقاتل بقيادة سلطان الاطرش القتال بمعركة ميسلون بسبب تردد فيصل بين قبول الانذار او رفضه واتخاذ قرار السلم او الحرب، خلق بلبلة واضطرابات دامية في دمشق وعطلت كثيرا من قوى المواجهة وسهل غيابهم زحف الجيش الفرنسي نحوه دمشق (دروز سوريا و لبنان ، ١٩٩١، ص١٥٢) .

ثورة الدروز ١٩٢٠

بعد ان احتل الفرنسيون دمشق ، قام الجنرال غورو بزيارة قبر السلطان صلاح الدين الأيوبي،ووقف امامه شاهراً سيفه وقال (بلغة التهكم والغرور، ها قد عدنا يا صلاح الدين، فانهض لترانا، ولقد ظفرنا باحتلال سورية) (تاريخ الثورات السورية، ١٩٦٠،ص١٧١).

يمكن القول من خلال موقف غورو والذي كشف عن نفسيته وما يحمل من حقد وضغينه اتجاه العرب وهو يمثل نفس سياسة دولته التي شاركت في اتفاقية سايكس – بيكو التي سلبت جميع حقوق العرب .

اسباب ثورة الدروز

هناك الكثير من الاسباب التي ادت الى قيام هذه الثورة والتي مهدت لثورات لاحقه وسوف اقتصر على بعض الاسباب منها :

١-رغبة السكان في الخلاص من المستعمر ونيل الاستقلال.

٢-وضوح المطامع الفرنسية في سوريا.

٣-نكث الحلفاء لوعودهم للعرب بالاستقلال بعد قيام العرب بالوقوف الى جانبهم ضد الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى .

٤-العمل على تطبيق وعد بلفور بأنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين .

٥-تحول سياسة الفرنسيين من انتداب الى استعمار عسكري يقهر السكان وينهب خيرات البلاد .

٦-تجزئة الفرنسيين لسوريا الى دول (الحركة العمالية ، ١٩٧٣،ص٤٦؛ يقظة العرب ،١٩٧٨،ص٤٩٦؛ الجهاد السياسي ،١٩٤٦،ص ٨٠-٨١).

اندلعت ثورة الدروز في الجبل في سبيل القومية الوطنية العربية بسبب سياسة الفرنسيين الحمقاء المرتجله اصبحت وسيلة لقيام الدروز بثورتهم التي لم تكن وليدة فترة فجائيه ، بل كانت تتمخض منذ احتلال الفرنسيين لسوريا ، كما لم تقم الثورة بتدبير حزب من الاحزاب او بمؤامرات مع الانكليز للثورة على الفرنسيين (تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠،ص١٨٣) .

شارك في الثورة جميع طبقات الشعب فالتحق بها الوجهاء والاثرياء والاطباء والضباط والتجار والفلاحون والعمال على اختلاف نزعاتهم ودرجاتهم تحت قيادة سلطان الاطرش واتباعه من الدروز الذي كان لهم اثر واضح في المصادمات التي حدثت مع القوات الفرنسية وادى الدروز فريضة الدم (تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠، ص١٨٤).

استطاعت القوات الفرنسية من اخماد هذه الثورة بسبب فارق العدة والعدد واستخدام الاسلحة الحديثة قياسا لما امتلكه الثوار من اسلحة بسيطة وبسبب السياسة التي اتبعها الفرنسيون ، جعلت السوريون ينظرون لهم بعين الكره واليقظة والحذر وادت الى نشوب الثورات السورية المتوالية (يقظة العرب، ١٩٧٨،ص٤٩٨).

الدويلة الدرزية

اكد رئيس البعثة الفرنسية كاترو في دمشق وعد المندوب السامي في لبنان ،بمنح جبل الدروز الاستقلال الاداري وصياغة المشروع الاساسي لنظام دولتهم وتحديد طريقة تعاونهم مع السلطة الفرنسية المنتدبة ، وعقد اجتماع بين زعماء الدروز في السويداء بتاريخ ٢٠/كانون الاول /١٩٢٠ لتحديد صيغة المشروع واتفقوا على عدة مبادئ اطلقوا عليها اسم (قراء السويداء) ، ذهب الوفد الذي حمل صيغة المشروع الى دمشق وتنازل عن بعضها و

وافق على التعديلات التي ادخلها الفرنسيون عليها والتي تخص اشراف الفرنسيين الكامل على جبل الدروز(سلطان الاطرش ، ٢٠٠١، ص٧٣-٧٤).

وقعت الاتفاقية الدرزية –الفرنسية بتاريخ ٤/اذار/١٩٢١ والتي كانت سرية لمخالفتها قرار وتعليمات السويداء وتعارضها مع افكار الدروز لتحديد علاقتهم بالسلطة المنتدبة وسميت هذه الاتفاقية باسم (ابو فخر–دوكه) باسم الشخصين اللذين وقعا الاتفاقية هما الشيخ محمود ابو فخر الرئيس الروحي الذي وقع بالنيابة عن رووؤساء الدين، وروبير دوكه الذي وقع بالنيابة عن المندوب السامي الفرنسي (جبل الدروز، ١٩٦١،ص١٧٢).

عدُ يوم ٥/نيسان/١٩٢١ اليوم الذي اعلن فيه استقلال الجبل عيداً رسمياً يحتفل به سنوياً بحضور المندوب السامي الفرنسي وكبار موظفيه المندوبية وبحضور الاهالي من قراهم تتقدمهم البيارق الى السويداء حيث تقام الاحتفالات وتدوي الهتافات من حين الى اخر ((تحيا فرنسا، تحيا الدولة الدرزية)) (الدروز ، ١٩٣٣، ص١٦٦)، هذا الاستقلال الذي بالغ به الفرنسيون والتابعون لهم في التهليل والفرح ،وبدء لبعض الدروز انه استقلال داخلياً رسمياً شبيهاً بالاستقلال الفعلي الذي مارسوه ابان الحكم العثماني ، اما وجهة نظر سلطان الاطرش لهذا الاستقلال عبارة عن وهم مزيف وعبودية، والدولة التي عملوا لتكوينها مع الفرنسيين وفرحوا بولادتها ظهرت له كيان هزيل ينقصه الكثير من المقومات البشرية والاقتصادية (سلطان الاطرش،٢٠٠١،ص٧٥).

يبدو لي ان هذا الاستقلال هو دعاية اعلامية اكثر منه واقعياً بدءً من تقديم تحيا فرنسا على تحيا الدولة الدرزية في حالة الاستقلال الحقيقي تقدم التحية للدولة المستقلة وليس الدولة المستعمرة او المنتدبة هذا جانب ، اما الجانب الاخر فأن هذا الاستقلال المزعوم لاجل تقسيم سوريا الى دويلات وخلق مشاكل داخلية بينهم واضاعفهم ليسهل حكمها والسيطرة عليها من قبل فرنسا.

ثار سلطان الاطرش وانصاره على الحكومة المحلية الدرزية واخذوا يوجهون الانتقادات اليها ويهزأون بها وكأنهم يوجهون الانتقادات والاستهزاء الى الحكومة الفرنسية باعتبارها المسؤولة عن الحكومة المحلية الدرزية ، وعمت الفوضى مدة شهرين واستمر سلطان الاطرش بثورته الفكرية على الحكومة الدرزية ورجالها الى ان انظم للسلطان اهالي

القرى الاتية :(القريا، ام رمان ، بكا، حوط ، صما ، طيسا) واضطر توفيق الاطرش قائد الدرك ان يخلع ملابسه العسكرية وينضم اليهم (مذكرات سلطان الاطرش ، ١٩٧٩، ص٨٠).

ويمكن القول ان عملية خلع الزي العسكري هو رفض واضح للحكومة الفرنسيه وتأييد لاهالي القرى التي أيدت الاطرش .

بدأ الوضع يتفاقم بين الحكومة المحلية الدرزية وسطان الاطرش واتباعه مما جعل الفرنسيون في حالة من القلق مما اجبر السلطة الفرنسية ان تكلف الامير سليم الاطرش المتعاون مع الفرنسيين ان يعمل على استرضاء سلطان الاطرش وتسوية الامور معه ،فذهب الى عرى واجتمع هناك به واتفق معه

على عقد مؤتمر درزي في السويداء ، وانعقد هذا المؤتمر في اوائل عام ١٩٢٢ بحضور سلطان الاطرش والكومندان ادلمبوس عن الفرنسيين ، وتقرر فيه عدة مطالب كان من شانها لو تحققت ان تصحح مسيرة عمل الحكومية المحلية وتتخفف من وطأة الانتداب الفرنسي وتساعد في تأمين الاستقرار الامني (جبل الدروز ، ١٩٦١ ،ص١٧٤) .

كانت هناك فترة متداخلة بين فترة الحكم الوطني الذي كان فيه على جبل الدروز (العرب) حاكما من اهله تميز عن الحكم الاستبدادي العسكري المباشر الذي بداه الفرنسيون عام ١٩٢٣ ولعب الكابتن كاربيه دوره المشهور فيه ، حيث قال سلطان الاطرش عن هذه الفترة ((انها استطاعت ان تتحمل بصبر وشجاعة عبء الانتقال بالمجتمع من نظام الحكم العشائري وتقاليده المتوارثه الى نظام الحكم المدني وشرائعه الحديثة المتطورة)) (سلطان الاطرش ،١٩٧٩ ، ص٨٩) .

كان على الدروز ان يختاروا حاكما بدلا من الامير سليم الاطرش الذي قتله الفرنسيون ، ونجح كاربيه الذي تسلم منصب المستشار لحكومة الجبل في تفريق كلمة الدروز وزرع الشقاق والفتنه بين المرشحين من زعماء الدروز وخلق لهم منافسا من غير عشيرتهم هو نجيب عامر ، بعد ان اوحى اليه بأن لا مانع قانونيا من وصوله الى الحاكميه (خلال قرن ، د .ت ، ص٢٣٦ ؛ مذكرات حسن ، ١٩٦٥ ،ص٢٣٧) .

استند كاربيه في تصرفاته الى الاتفاقيه الدرزيه الفرنسية التي تنص فقط على وجوب انتخاب حاكم للجبل من قبل المجلس النيابي الدرزي ولا تشير الى ضرورة انتخابه من دار عرى او حتى من الطرشان انفسهم نص البند الثالث من الاتفاقيه الدرزيه الفرنسية يرأس هذه الحكومية (حكومة جبل الدروز) حاكم اهلي يصير انتخابه بواسطة ممثلي الشعب القانونيين لمدة اربع سنوات بموجب قانون خاص يسن فيما بعد ولا يصح انتخابه نهائيا الا بعد مصادقة الدولة المنتدبة عليه (تمرد دمشق ، ١٩٧١ ،ص٧٨) .

ويمكن القول ان انتخاب الحاكم لمنطقة جبل الدروز مرهون بموافقة الدولة المنتدبة ، فهذا يعني اذا كان الحاكم المنتخب متعاون مع الفرنسيين فستتم المصادقة عليه والعكس صحيح ، فبذلك تصبح منطقة جبل الدروز خاضعة تماما للسيطرة الفرنسية التي تمثل مركز الحركة الوطنية ضد المحتل .

كان صمت سلطان الاطرش قد اثار الشكوك القوية والكبيرة لدى كاربيه من اثر التزامه لبيته ، وكان يخشاه اكثر منما يخشى اليه ، ناقلا اليه رغبة فرنسا في التقرب منه والتعاون معه (سلطان الاطرش ، ١٩٧٩، ص٩٢) .

حضر سلطان الاطرش الى السويداء لا بهدف رؤية كاربيه ، ولا بقصد رد الزيارة له ، وانما من اجل تقديم الدعم للمرشح الامير حمد الاطرش للحاكميه والابقاء على منصبها بأيدي الدروز كما تنص على ذلك الاتفاقية الدرزية الفرنسية (مذكرات حسن ، ١٩٦٥ ، ص٢٣٧) .

نجح كاربيه في تفريق كلمة زعماء الدروز ومن ثم استطاع الحصول على الحاكميه للجبل بالوكالة تمهيدا لتسلمها بالاصالة ، واقترح على المجلس النيابي ادخال حمد الاطرش المدعوم من قبل سلطان الاطرش عضوا في المجلس بدلا من التسليم بحقه بالحاكميه وتعويضا له ، فضلا عن ذلك انتزع موافقة المجلس على تحديد اعضاء الوفد الدرزي الذاهبون معه الى بيروت لمقابلة الجنرال فيفيان المندوب السامي ودعوته لحضور الاحتفال بذكرى استقلال جبل الدروز الثالثة (سلطان الاطرش ،١٩٧٩ ، ص٨١) .

فقد استطاع المتكلم بأسم الوفد الدرزي ان يطلب من الجنرال فيفيان المحافظة على استقلال الجبل فعليا لا اسميا ، واخذ رأي المجلس النيابي في استحداث الوظائف او الغائها

ومنحه حق المراقبة المالية وعدم التصرف في الشؤون المالية قبل اخذ رأيه ، وينتخب الحاكم بموجب استقلال الجبل مع مراعاة عاداته وامتيازاته الموروثة (البشير ،١٩٢٤ ، ٣١٢٠ ؛ البشير ، ١٩٢٤ ، ٣١٥٨ ؛ البشير ، ١٩٢٤ ، ٣١٥٩) .

ويبدو لي ان هذه المطالب التي طلبها المتحدث بأسم الوفد الدرزي كان الغاية منها التأكيد على استقلال الجبل وتقليص نفوذ وسلطة وحكم كاربيه بشؤون الجبل وهي مطالب شرعية وقانونية لا ن اهل الجبل احق بحكم الجبل .

ان اول عمل قام به كاربيه عملية انتخاب مجلس نيابي جديد او بالاصح تعيينه عمل هذا المجلس بأيصال كاربيه الى الحاكميه بالاصالة وكوفيء من قبل فرنسا بتسليمه قيادة الجيش ورئاسة الاستخبارات ، ان هذه المسؤولية الجديدة فسحت له المجال من خلال الصلاحيات التي اعطيت له ولقب نفسه (امبراطور الجبل) (سلطان الاطرش ، ١٩٧٩ ، ص٨٣) .

لم يكتف كاربيه بسلب حق الدروز في الحاكميه بل اضطهد الطرشان وانصارهم واتباعهم والب الرأي العام عليهم واغلق دورهم في السويداء ومنع الاهالي من زيارتهم وتشيع جنازاتهم وزج المعارضين في مستودعات الفحم ولاحق اللاجئين الى الجبل خارقا حرمة المضافات وفرض غرامة مالية على السويداء مقدارها خمسة وعشرون ليرة ذهبية لضياع قطة الملازم موريل الفرنسي (سلطان الاطرش ،١٩٧٩ ، ص٨٤) .

ويمكن القول ان الاجراءات والاساليب التي قام بها كاربيه ضد الدروز المعارضين له ، كي يحد من قوتهم ويعمل على التخلص منهم واذلالهم بشتى الوسائل التي استخدمها ، وهذا انعكس ايجابيا على الدروز بحيث اصبحوا مهيئين لمواجهة كاربيه بشكل ثورة منتظمة بعد ان بدأ بينهم الاجتماعات السرية ولهجة السنتهم بالثورة .

ثورة ١٩٢٢

اصدرت الحكومة الفرنسية حكم الاعدام على ادهم خنجر* (هو من اسرة خنجر المعروفة التي تقيم في جبل عامل بقرية قرب صيدا ، ولد سنة ١٨٩٥ يحمل فكرة عربية اسلامية صادقة وكان في الخامسة والعشرين من عمره عندما ثار جبل عامل ، فقام بحركة

ثورية على المطار الفرنسي و حرق طائرة) (تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠ ، ص ١٨٧) ثائرا من جنوب لبنان ضد الفرنسيين بعد ان تمكنوا من سحق ثورة قومه في جبل عامل ١٩٢٠ ، واشترك في ٢٣/ حزيران /١٩٢١ في محاولة اغتيال الجنرال غورو الحاكم العسكري الفرنسي ، ففر الى الاردن ومكث هناك سنة ، في ١٧/ تموز/ ١٩٢٢ كان متوجها الى جبل عامل وفي طريقه تمرض برمد العين وغير طريقه الى جبل الدروز (العرب) قاصدا دار سلطان الاطرش فالقي القبض عليه قبل ان يصل دار الاطرش (تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠ ، ص ١٨٨) .

كان سلطان الاطرش في بلدة ام الرمان عند صديقه حمد البربور ، حين حضر شكيب وهاب احد رفاق ادهم خنجر واخبره ، بأن ادهم توجه الى القريةِ بقصد اللجوء اليه ، فعاد سلطان الاطرش فورا الى بلدته فلم يجد ضيفه في داره وعلم باعتقاله في ٢٢ /تموز / ١٩٢٢ وانه اسير السلطة الفرنسية التي لم تحترم حق الضيافة وحرمة الدار فاسرع لاطلاق صراحه مقابل فدية كبيرة من المال وازالة الاهانة التي لحقت به (اما ادهم فقد ارسل رسالة اليه بواسطة النائب ضابط حمد البعيني يقولُ فيها انه اتى الى داره ضيفا ومشرفا) (بنو معروف ، ١٩٢٤ ، ص١٣٣) .

بدأ سلطان الاطرش تحركاته ، فاوفد سلطان اخاه علي الاطرش الى السويداء للتفاوض مع المستشار الفرنسي ترانكا ، واخبره ان اعتقال ادهم يتعارض مع العادات والتقاليد المحليه وكذلك يتعارض مع البند الثاني من الاتفاقية الدرزية الفرنسية التي تقول ان طراز حكومة الجبل ان يكون ((منطقيا على العوائد المحلية)) فعد ترانكا ذلك تهويلا واعتراضا على تطبيق القانون الذي تحرص وتسعى حكومته ان ياخذ مجراه بحق انسان تعتبره مجرما ، مع هذا تابع سلطان اتصالاته مقدما كفالته الشخصية وكفالة توفيق الاطرش مدير درك الحكومة ، كما ارسل سلطان متعب الاطرش رسولا ثانيا فرفض المستشار مقابلته (الثورة السورية الكبرى ، ١٩٧١ ، ص ٩٤) .

فاجارة النزيل في نظر سلطان الاطرش لها جانبان تقترن بهما كرامته في الجبل وبين العشائر ، صحيح ان سلطة القانون العادل هي افضل من هيمنة وسيطرة الاعراف والتقاليد

والعادات ولكن مجتمع جبل الدروز (العرب) ومحيطه انذاك لم يكن قد وصلا بعد الى مرحلة المجتمع المدني ، اضف الى ذالك ان قضية ادهم فيها ناحيتين :

اولاً :انه ضيف وعلى المضيف ان يحيمه جريا على العادات المتبعه المرتبطه بكرامة الجماعة والوطن.

ثانياً: انه وطني لا يمكن تصنيفه كمجرم ومعاملته معاملة الاشقياء من قبل دولة اجنبية دفعت الوطنيين الى الثورة عليها ، واعتماد حرب العصابات لاخراجها من البلاد (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١، ص١٠٠ ؛ تاريخ الثورات السورية ، ١٩٦٠ ، ص ١٨٥-١٨٦) .

لم يدخل اليأس في قلب سلطان الاطرش ، بل تابع اتصلاته فبعث ببرقية الى المندوب السامي غورو ولم يتلقى جوابا عليها ، فشلت جميع مساعي سلطان الاطرش لاطلاق صراح ضيفه كل الوسائل السلمية ، فلم يبق امامه الا استعمال السلاح (مقالة ، ١٩٧١ ،ص٢٣) .

يبدوا لي ان سلطان الاطرش كان مقتنعا بأن الحقوق تؤخذ من الدول الاستعمارية بالقوة ، وانما استخدم كافة السبل والوسائل السلمية لاحقاق الحق لكي يقنع اتباعه ولا يقع عليه اللوم ، فيما بعد عند استخدامه الاسلوب الذي يفهمه الفرنسيون .

أتخذ سلطان الاطرش قرارا خطيرا اجبر عليه في ظروف غير ملائمة وخطوة ارتجالية لم يسبقها اتصال او تمهيد او تهيئة ، هي ثورة الكريم اذا غضب والذي يطعن في كرامته والابي الذي يجرح اباؤه والمحق الذي يغتصب حقه ، فلا يحسب حساب الربح او الخسارة ، بل يبادر فورا الى رد الاهانة والجهاد من اجل تحصيل حقه ولو كلفه حياته ، فالواجب عليه يقضي انقاذ ضيفه ادهم ويحفظ كرامة الحمى المنيع الذي استباحه الفرنسيون في غفلة من الزمن ، مهما كانت التضحيات والنتائج (جبل العرب ، ١٩٦٢ ، ص١٥٣) .

قاد سلطان حملة مع نخبة من رفاقه ابرزهم اخاه مصطفى وحمد البربور وشكيب وهاب للاشراف على طريق السويداء وقطعها ، فعل سلطان كل هذاعلى الرغم من معارضة الحكومة المحلية للجبل واغلب الزعماء وحتى رووٴساء الدين الحوا على ايقاف التدابير المنبه بالثورة .

ادرك الفرنسيون ان قواتهم الموجودة في السويداء لا يمكنها اختراق الحصار الذي فرضه الدروز ، وتأمين عملية نقل ادهم من السويداء الى دمشق ، فطلبوا المساعدة فارسلت اليهم السلطة الفرنسية قوة من درعا ، واجها رفاق سلطان في تل الحديد غربي السويداء ، ودارت بينهما معركة كانت نتيجتها مقتل الضابط بوكسان وثلاثة من جنوده وتعطيل مصفحة واسر اربعة جنود وتولى حراستهم شكيب وهاب (روز اليوسف ، ١٩٢٦ ، ص١٨).

وصل وفد من اعضاء المجلس النيابي في حكومة جبل الدروز وقائد الدرك حسني صخر بعد انتهاء المعركة ، كما وصل سليم ونسيب الاطرش قادمين من دمشق ، فاتفقوا مع سلطان بعد نقاش حاد كاد يؤدي الى صدام بينهم على ما يلي :

١-فك الحصار عن السويداء واعادة القوات المرابطة الى قراها .

٢-تسليم الاسرى الاربعة .

٣-ترك قضية ادهم خنجر ليعالجها الوفد بجو ودي وطريقة سلمية مع السلطة الفرنسية.

٤-يتعهد الوفد بتسليم ادهم لسلطان ورده سالما في اقرب فرصة ممكنة (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩ ، ص٧٩) .

يبدو لي ان هذا الاتفاق كان الغرض منه افشال حركة سلطان الاطرش واجهاض ثورته وفك الحصار عن السويداء لان الوفد الذي جاء من دمشق كانوا من المتعاونيين والمؤيديين للفرنسيين وكان يجب على سلطان ان لايثق بهم مطلقا .

ندم سلطان الاطرش على تسليم الاسرى الاربعة للوفد ، ولو ابقاهم رهائن عنده لكانوا خير فداء لادهم الذي نقلته السلطة بالطائرة الى دمشق ومنها الى بيروت حيث تم تنفيذ حكم الاعدام فيه (البشير ، ١٩٢٢ ، ٢٩٠١) .

بامر من الفرنسيين قامت الحكومة المحلية بمطاردة سلطان الأطرش ورفاقه واتباعه وفرضت الحكومة الفرنسية غرامة نقدية على القرى التي وقفت الى جانب سلطان الأطرش واوته ودفعت هذه الغرامة الى صندوق الحكومة في السويداء، وغالباً ما كان سلطان يتحاشى الاصطدام بمسؤلي القرى التي كان يتواجد فيها ،خوفاً على الدماء والارواح لان سلطان كان

احرص عليها من الفرنسيين الذين نجحوا في تهديد الدروز بالدروز، فالذين يطاردونه هم ابناء الجبل الذين يحملون اسم عشيرته وهيبتها (البشير،١٩٢٢، ٢٩٠١).

عمدت السلطة الفرنسية الى اسلوب التهديد و التهويل والترغيب ولجأت الى رووٴساء الدين في الجبل على سبيل المثال (الشيخ حسن جربوع ، الشيخ محمود ابو فخر وغيرهم)، فأستعدتهم على سلطان الاطرش وحذروا الدروز من التعاون مع سلطان واي من يساعده وجماعته سوف يكون تحت الجرم العظيم والسخط الجسيم (سلطان الاطرش،١٩٧٩،ص١٠٦-١٠٧).

يمكن القول ان استخدام رجال الدين من قبل الفرنسيين لانهم يعرفون تأثير رجال الدين من خلال الفتوة على المجتمع العربي الاسلامي خاصة لذلك نجد الفرنسيون قد جندوا رجال الدين لمصلحتهم عن طريق الترغيب ومنح الهدايا والاموال .

امام هذا التحرك الواسع ضد سلطان ورفاقه من قبل السلطة الفرنسية والحكومة المحلية للجبل واعوانها ومن رووٴساء الدين وقيامهم بهدم داره ودور رفاقه ، وجد سلطان نفسه مضطراً هو ومن معه الى ترك الجبل مدركون تمام الادراك ان من وقفوا ضده ، فعلوا ذلك مجبرين ، اما امام الخوف الذي تعرضوا له من السلطة الفرنسية او لتحقيق مصلحة خاصة لهم ، وشعور سلطان ورفاقه بأن بقائهم فيه ضرر كبير عليهم وعلى اهل الجبل (رجالات جبل العرب ،١٩٦١،ص٣٣).

لجأ سلطان الاطرش الى الاردن،لكن الحكومة الفرنسية قلقت من وجوده بالاردن ،فأرسلت متعب الاطرش على رأس وفد من الجبل لاقناعه بالعودة((وقدم له ختم المستشارية الفرنسية دليلاً على رغبة السلطة بمفاوضته ومصالحته ،فرفض وعاد متعب مع الوفد المرافق له دون ان يتكلل مسعاه بالنجاح)) (مذكرات سلطان ،١٩٧٩،ص٨١).

استخدم الفرنسيون اسلوب الخديعة محاولين الايقاع به عن طريق صديقه يوسف الشوبري الذي كان يجهل نواياهم ومؤامراتهم الدنيئة المدبرة ضدهما معاً ، ونقل رغبتهم بالتفاوض معه،وحددوا له بلدة سمج مركزاً للمفاوضه، ادرك سلطان بحدسه ان رغبة التفاوض هذه وتحديد المكان في سمج حيث توجد مواشيه التي ارسلها للرعي في الجبل ، هو استدراج له لمكان معين يحاصرونه فيه ويقضون عليه وعلى رفاقه ويستولون على مواشيه ،فأخذ

سلطان الحذر واحتاط للأمر وابتعد عن قرية سمج فلاحظ ان الجيش الفرنسي يطوقها قبل الموعد المحدد ويسوقون المواشي وبالرغم من قلة رجاله ، فأدرك سلطان الشر الذي يضمرونه له ، فنصب كمين لهم في مكان يسمى (دير الخريبة) ودارت بينهم معركة كبرى هزمهم فيها وانزل في صفوفهم تسعة قتلى وعشرين جريح واسترجع مواشيه واخذ اربعة عشر بغلاً محمل بالمؤن والذخيرة ، فأنتقم الفرنسيون من يوسف الشوبري وسجنوه ،لكن سلطان حرره في ما بعد (جبل الدروز،١٩٦١،ص١٨٧).

استأذن سلطان من الحكومة الاردنية ان تسمح له بالاقامة على ارضها فوافقت ، وكان ينتظر منها اكثر من استضافته اي تقديم مساعدة له ، للوقوف بوجه الفرنسيين واعداد ثورة عارمة تخرجهم من سوريا فذهب شكيب وهاب والتقى برضا الركابي رئيس وزراء الاردن لاغتنام الفوضى ودخول سوريا، الا ان الركابي لم يبد حماساً واهتماماً للفكرة (الثورة السورية الكبرى،١٩٧١،ص٩٧).

قام سلطان الاطرش بنفسه بالاتصال بالحكومة الاردنية فقصد الامير عبدالله بعد تركه الجبل في طلب مساعدته للوقوف بوجه الفرنسيين والقيام بالثورة، لكن الامير عبدالله رفض تقديم المساعدة له ، بل وجه بعض اللوم عليه وعلى عمله (المعرض، ١٩٢٢، العدد ١٣٧).

اصدرت السلطة الفرنسية حكم الاعدام على سلطان الاطرش في ٦/تشرين الاول /١٩٢٢ محملة سلطان مسؤولية مقتل الملازم بوكسان وثلاث غيره في تل الحديد والعديد من جنودها اثناء تعقبه للقبض عليه واثناء غاراته على مراكزها ، ولو قدر للقوات الفرنسية ان تلقي القبض عليه بالقوة او بالحيلة والغدر لكانت نفذت فيه حكمها فوراً جزاءً له ،وعبرة لغيره حفاظاً على هيبتها ونفوذها وتخلصاً من المتاعب التي قد يسببها ثائر رفع السيف في وجهها لاول مرة في جبل الدروز (سلطان الاطرش ، ١٩٧٩،ص١١١).

شكل وفد من زعماء جبل الدروز غايته الصلح ، مؤلف من ابراهيم الاطرش واسماعيل الحجلي وفواز عز الدين فوصل الوفد الى النتيجة الاتية :

ألغاء الحكم الصادر بحق سلطان الاطرش والعفو عنه وقبول عودته الى جبل الدروز(العرب)، عفت الحكومة الفرنسية عن سلطان الاطرش في ٤/نيسان/١٩٢٣ (سلطان الاطرش ،١٩٧٩،ص١١٢).

يبدو لي ان سبب الاعفاء يعود ربما الى تخوف الحكومة الفرنسية من بقاء الاطرش داخل الحدود الاردنية وعلى الاكثر سوف تجدد العمليات العسكرية ضد القوات الفرنسية من ما قد تسبب المزيد من الخسائر في صفوف قواتهم وهذا يؤثر كثيراً على الرأي العام الفرنسي.

عاد سلطان الاطرش الى السويداء في ٥/نيسان/١٩٢٣ ذكرى عيد استقلال الجبل ،وقصد عين الزمان وهو اشهر المقامات الدينية عند دروز الجبل، فهرع الاهل والاحبة الى استقباله تاركين احتفال العيد ،بحيث لم يبقى الى جانب المسؤولين الدروز والفرنسيين الا القليل ، وساروا معه في تظاهرة وطنية كبرى الى مكان الاحتفال، وهذا ادى الى ازعاج المستشار الفرنسي ترانكا لما رافقها من اهازيج وزغاريد ونخوات، اما الاسباب التي دفعت سلطان للعودة فكثيرة منها ان العمل ضد الفرنسيين من الداخل اسهل واجدى من العمل من الخارج، وسكن الديرة افضل من سكن الجوار ، وموقف الانكليز والحكومة الاردنية بات مشكوك فيه غير مضمون (سلطان ، ١٩٧٩،ص١١٢-١١٣).

ثورة الدروز ١٩٢٥

كان سلطان الاطرش طيلة الفترة الممتدة بين ١٩٢٤ – ١٩٢٥ هي الفترة التي تمادى فيها كاربيه في طغيانه وجبروته يفكر في الثورة وتزداد قناعته يوما بعد يوم ، وينتظر اليوم الذي يبلغ التوتر حد الانفجار الشامل (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ،ص٨٤) .

ولما بلغ استياء السوريين من السياسة الفرنسية التي اتبعوها في الدويلات السورية وتكاملت اسباب ثورتهم ، وبدُوء عام ١٩٢٥ مستعدين للتجاوب مع الدعوة لها اكثر من اي وقت مضى ، كان هنالك في جميع المناطق السورية احساس بأن الفرنسي تمادى في تحكمه وان الحالة اصبحت لاتطاق وأنه لا مفر من الثورة (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١، ص١٢٠) .

ويبدو لي ان هناك حقيقة واضحة للعيون المتجهة نحو جبل الدروز (العرب) الى اعلان الثورة مع بقيت المناطق السورية وكانوا بحاجة الى قائد يعلنها ويفجرها ، كان سلطان الاطرش هو القائد الذي ينتظره السوريين .

كانت الشرارة التي اشعلت الثورة رفض ساراي مقابلة زعماء الدروز في السويداء في ٥/نيسان /١٩٢٥ ، وتجاهل الاتفاقية الدرزية الفرنسية في دمشق حين طلبوا تنفيذها وتعين حاكم اهلي (سكوت ساراي ، ١٩٣٦ ، ص٦٩ ؛ دروز سورية ، ١٩٩١ ، ص ١٦٥) ، مهددا بالعقاب كل من يطالب بها ، كما اساء استقبالهم في بيروت في ١٧/حزيران/١٩٢٥ (دروز سورية ، ١٩٩١ ، ص١٦٦) .

رجع الامير حسن الاطرش من دمشق ولديه خبر اعتقال الزعماء الثلاثة حمد وعبدالغفار ونسيب الاطرش الذين استدرجهم ساراي في ١٤/ تموز /١٩٢٥ (دروز سورية ، ١٩٩١ ، ص١٦٥) .

كان سلطان الاطرش في رساس يزور متعب الاطرش ، فأتخذ قرار الثورة التي طالما فكر بها ، وبلغ الاستبداد الفرنسي اوجه وبلغ التذمر الدرزي اوجه ، وبارك شيوخ العقل قرار الثورة بلسان الشيخ علي الحناوي الذي نقل اليه قرار الثورة في ساعة متأخرة من ليل ١٧ / تموز/ ١٩٢٥ وحصل القرار على تأييد الهيئة الروحية ، المؤلفة منه ومن الشيخ احمد الهجري والشيخ حسن الجربوع ويظهر ان الشيخ الرابع محمود ابو فخر لم يكن قد اقتنع بفكرة الثورة لانه كان من الموالين للفرنسيين (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩ ، ص ١١١) .

حاول حاكم جبل الدروز (توما مارتان) خداع سلطان بمكيدة ثانية لايقاعه فيها ، بعد ان فشلت مكيدة ساراي ، فأرسل الملازم فرتييه يجدد الدعوة له لبحث شؤون الوضع المتوتر فرفض واجاب ساخرا بما يلي : ((اتظنون ايها الفرنسيون اننا بسطاء الى هذه الدرجة ؟ تعتقلون زعماء البلاد وقادة الرأي فيها بالحيلة والغدر وتطلبون منا التشاور في الحلول السلمية ؟ من السهل علينا الان ان نقابل رؤساءك بالمثل فنلقي القبض عليك لتكون رهينة بيدنا ، ولكننا نأبى ان نتبع مثل هذا الاسلوب)) (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩ ، ص١١٣) .

لم يكتف سلطان الاطرش بذالك الجواب ، بل قام بأيصاله الى المكان الذي جاء منه مع فريق من رجاله ، كان سلطان مدركا تماما عقم الاتصالات والمفاوضات مع الفرنسيين وان اسلوب الاحتجاج والعرائض والمظاهرات وان كان محركا لشعور الجماهير ، لكن هذا لا يبدل من مواقفهم .

ان الاحزاب السياسية التي تأسست في سوريا (حزب الشعب و حزب الاستقلال) قد تكون اطرا لتنظيم العمل السياسي فقط ، لكن الثورة المسلحة وحدها هي التي تجعل الفرنسيين قلقيين وتسلب راحتهم وان رصاصها هو الذي يزعج اذانه فيسمع مطالب الشعب المظلوم (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١، ص١٥٣) .

كان سلطن الاطرش يفكر بالثورة منذ ان القى سلاحه اثر ثورته عام ١٩٢٢ ، لكنه كان يريدها ناجحه تبدا بداية حسنة ، ولا تستقطب جميع الدروز في الجبل فحسب ، بل جميع السوريين لذا كان يؤجل تنفيذها الى يوم يمكنه فيه تأليب عدد من المؤيدين لانزال ضربة كبرى بالفرنسيين ، ويحسب الف حساب للمعركة الاولى ، ويخشى اذا هزم فيها الا يعقبها معارك اخرى ((فأي هزيمة تلحق بالدروز في المعركة الاولى تكون عواقبها وخيمة على جبل الدروز كله ، بل على سورية التي يعرف احرارها ، ويترقبون اخبار الثورة التي ظهرت بوادرها في جبل الدروز وعلى نتائج المعركة الاولى يتوقف اندفاع الدروز جميعا في تأييد الثورة التي عزم على ان يخوض غمارها ويكون رمزها و قائدها)) (الكتاب الذهبي ، ١٩٦٩ ، ص١٦٥) ، وتميزت ثورة ١٩٢٥ بأنها اول حركة وطنية مسلحة عامة ، قابلت القوة بالقوة على شكل ادنى ان يوصف بالحرب المنظمة ، من ان يوصف بالاحتجاج والتظاهر (صانعوا الجلاء ، ١٩٩٧، ص٣٤٥).

وقد تحققت حسابات سلطان الاطرش في معركة الكفر ، فكان فخورا بالانتصار فيها واعيا ابعادها ونتائجها لا على صعيد الجبل فحسب ، بل على صعيد سوريا كلها ، لذا بادر من فوره للانتقال الى قنوات التي اتخذها مركز لقيادته ، ومنها بدأ الاتصال بقرى الجبل ودعا سلطان الى الثورة في تل الخروف في اواسط تموز /١٩٢٥ ولقيت هذه الدعوة تجاوبا كبيرا من قبل فرسان الجبل على اثر الانتصار في معركة الكفر ، واذا بالجميع توافدوا الى

قنوات ليعلنوا تأييدهم له ، ولينضووا تحت لوائه ليستعدوا للدفاع عن الجبل بعد ان بلغتهم انباء حشود الفرنسيين (قصة الكفاح ، ١٩٥٨ ، ص٢١١) .

بقدر ما اعطى انتصار معركة الكفر رقما للثورة وتاييدا لسلطان ، بقدر ما احدث في اوساط الفرنسيين هلعا على مصير وجودهم في الجبل ومصير حاميتهم المحاصرة في السويداء ، وبقدر ما احدث من تاثير في نفس ساراي العصبي انفعالا وغضبا قاده الى اصدار الاوامر عند تلقيه انباء الهزيمة الى الجنرال ميشو ، فالموضوع عنده بات مقترنا باعتباره الشخصي ، تحدى زعماء الدروز واهانهم ، فرد سلطان على تحديه واهانته بمثلهما وبسرعة ، لذا كان همه اخماد الثورة بسرعة والقبض على سلطان ومحاسبته ، وكان ميشو صورة صادقة عنه فهو لم يكترث لخصمه وظن ان الامر يتعلق بنزهة عسكرية فاختار اخطر طريق توصله الى السويداء (سكوت ساراي ، ١٩٣٦ ،ص٨٣) .

بدات تحركات سلطان باتجاه القرى الدرزية ومعه مجموعة من الفرسان في ١٧/تموز/ ١٩٢٥ من الرقيا الى يكا وام الرمان وامتنان وملح ، وكان كلما وصل الى قرية لاقاه فرسانها بالنخوات والاهازيج واطلاق الرصاص ونسائها بالزغاريد وشيوخها بالدعاء ، واروع وصف لتنقلات سلطان ، هو ما ذكره عبدالرحمن الشهبندر في مذكراته :

((ليس في تاريخ الثورة جميعا صفحة تلذ قراءتها اكثر من خبر السياسة التي سلكها سلطان في التنقل)) ، فلما ذهب من امتنان الى ملح مثلا سار معه نحو اربعين فارسا لكنه ارسل رسلا قبله فأوهموا اهل ملح ان جميع الرجال القادرين على حمل السلاح في المقرن الجنوبي هبوا على قدم وساق لانقاذ شرف الطائفة الدرزية (مذكرات عبدالرحمن ، د.ت ، ص٥٨-٥٩) .

هذه التطورات التي تنبىء بعواقب وخيمة اقلقت السلطة الفرنسية ، فسارع الجنرال سول قائد الجيوش الفرنسية في دمشق وحوران وجبل الدروز لمعالجتها ووصل الى السويداء في ١٩/تموز /١٩٢٥ ،

وقرر فورا ارسال حملة في اليوم الثانية لتعقب سلطان الاطرش ومحاولة اللقاء القبض عليه وخنق الثورة في مهدها .

بدأت الثورة بعد قيام الثوار بأسقاط طائرتين فرنسيتين هاجمتا صلخد في ٢٠/تموز/١٩٢٥ واحرقوا بمساعدة اهلها دار البعثة الفرنسية ، فانطلقت في اليوم نفسه ، حملة فرنسية بقيادة نورمان الذي حسب نفسه انه يقوم بنزهة وتصور ان اللقاء القبض على سلطان امر سهل (الكتاب الذهبي ، ١٩٦٩ ، ص١٦٤) .

كان سلطان الاطرش قد ارسل قاسم الاطرش وعبدالله العبد لمقابلة نورمان ونصحه بالانسحاب وتسليمه كتابا لينقله الى السلطة الفرنسية يحملها مسؤولية سياستها الاستبدادية في سوريا ، فكان جوابه الرفض وكرر التهديدات منها انه سيلقي القبض على سلطان واعوانه وانه بامكانه ان يقتل ثلاثة الاف درزي بالرشاش الذي يحمله وان ترجمانه الملازم يوسف الصايغ يستطيع ان يسوق الدروز بعصاه من السور الكبيرة شمالا الى العانات جنوبا ، ثم التفت الى بقية اعضاء الوفد وقال لهم :

((اذهبوا الى سلطان ، وقولوا له انني بانتظاره على احر من الجمر)) (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩ ، ص ١٢٨) .

نقلت اجوبة نورمان الى سلطان الاطرش فلم يدعه ينتظر طويلا ، وكان رده سريعا اذ ساره للحال في ٢١/ تموز/ ١٩٢٥ من صلخد الى الكفر ، وكان هذا اليوم يصادف ذكرى ثورته عام ١٩٢٢ ، وقد بلغ من حماسة رجاله حدا لم يستطع معه تقرير اي خطة ، وكل ما فعله هو تنظيمهم الى فريقين ، المشاة ساروا في الطريق الوعر من ناحية الشرق ، والفرسان ساروا في طريق اقل وعورة من ناحية الغرب ، وهو امامهم يقتحم الردى وبدأت المعركة ظهرا ، لكنها لم تدم اكثر من نصف ساعة حتى انه لم تتح لبعض الثوار الاشتراك فيها ، وحالت سرعة الهجوم وهول المفاجأة بين الفرنسيين ان تركوا اسلحتهم ، فسكتت رشاشاتهم واختلط الدروز بهم واعملوا السيف والخناجر في رقابهم ، فخر نورمان صريعا ولم ينج من جنوده الا خمسة او ستة لجأوا الى السويداء لينقلوا خبر هذه الكارثة الى توما مارتان (سلطان الاطرش ،٢٠٠١ ، ص١١٥) .

كان سلطان الاطرش قد حدد ٣٠/ تموز/ ١٩٢٥ موعدا لاجتماع البيارق بجوار نبع قراصة للدفاع عن السويداء ، وجرى تباحث مع زعماء الدروز في كيفية مواجهة الجيش الفرنسي ، وصل عبد الغفار الاطرش الذي اطلق سراحه الفرنسيون ليفاوض بني قومه على

انهاء القتال ، فحاول اقناع الدروز بذالك ((فسبوه و شتموه علناً و اتهموه بالخيانة)) (مذكرات عادل ، ١٩٨٣ ، ص٣٥١) .

نجح سلطان الاطرش في تنحيته عن مكان الاجتماع واقناعه بالالتحاق بعائلته في بلدة قنوات وساعده سليمان نصار بأثارة حماسية الجماهير حين حرف رسالة بعثها زعماء حوران ، فاعلن استعدادهم لمساعدة الثوار بدلا من تحذيرهم اياهم بلوغ الاراضي الحورانية ، وباشر الثوار بانتشارهم وبداوا صباح اليوم الاول من اب ١٩٢٥ مناوشة الجيش الفرنسي في جهات بصرى الحرير لايعاقة تقدمه ، لكنه تابع زحفه حتى وصل الى تل الخروف .

وفي صباح اليوم الثاني من اب قاموا بهجوم عنيف فتصدى لهم فرسان الدروز وشاغلوهم لبعض الوقت وانسحب الجيش الفرنسي امامهم حسب خطة مرسومة من قبل الجنرال ميشو لاستدراجهم الى الكمين المعد لهم في تل الخروف حيث تساقط العشرات امام المتاريس والاستحكامات الفرنسية ولم ينج من طليعتهم الا القليل ، فيما كان سلطان يراقب سير المعركة ويذهل لهذه النتيجة غير المتوقعة ويؤلمه تحول الشجاعة الدرزية الى تهور ، بدأ الفرنسيون يقصفون نبع المزرعة تمهيدا لتقدمهم اليه ، انتقل سلطان الى نبع الفارعه ومنه الى بلدة سليم الاطرش للتشاور مع زعماء جبل الدروز لوضع خطة جديدة لوقف تقدم الجيش الفرنسي والدفاع عن السويداء ، اعتقد ميشو ان انتصاره قد حسم في اليومين من اب ، وان مقاومة الدروز قد سقطت بعد سقوط الكثير من نخبة فرسانهم وان طريق السويداء اصبح سالكاً ومفتوحاً ، وكان ميشو مضطرا ان يؤمن الماء لجيشه ، فجد في التقدم والمسير الى نبع المزرعة فاصلا بين مقدمة جيشه ومؤخرته ، مستهيناً بالدروز غافلا عما يخبؤه له القدر من المفاجأت ، واستغل الثوار هذه الفرصة وحرموه من نشوة الانتصار والسعادة التي كان يشعر بها ميشو (مذكرات عبدالرحمن ، د.ت ، ص٦٢-٦٤) .

انقض فرسان الدروز على مؤخرة الجيش الفرنسي حيث العتاد والذخيرة المؤنة ، وعملوا السيف في رقاب افرادها وابادوا معضمهم وعادوا الى قراهم بما استطاعوا ان يحملوا على ظهور الخيل والبغال من الغنائم ، ويسألون عن سلطان ليشرحوا له الامر بعد ان سبقتهم الرسل الى قرية سليم الاطرش ليبشروه بالنصر غير المتوقع (مذكرات عبدالرحمن ، د.ت ، ص٦٥-٦٦) .

اعتقد البعض ان التحام الدروز مع مؤخرة الجيش الفرنسي كان مصادفة وان المهاجمين لم يعلموا بهزيمة اخوانهم في الصباح لتعوقهم عن الحضور ، وان سلطان ادرك انهم ((التقوا مصادفة بمؤخرة الجيش والاستيلاء عليها)) (الكتاب الذهبي ، ١٩٦٩ ، ص١٧٣-١٧٤) .

هنالك مجموعة من الاراء تختلف تماما مع هذا الرأي ، اي ان الهجوم كان مقصودا حتى يذكر سلامة عبيد ينسبه الى ((تحريض من زوج المجاهد عباس ابي عاصي في نجران بعد ان رفضت ان يمد اي ثائر يده الى الطعام الذي اعدته لهم الا اذا وعد بالعودة الى ساحة القتال)) واشتركت قرى الثعلة والسجن وعريقه وسميع ودروز المجدل وكفر اللحف وريم الفخور (مذكرات سلطان ، ١٩٧٩ ، ص١٤٣ ؛ الثورة السورية الكبرى ، ١٩٧١ ، ص١٣٤-١٣٥ ؛ بنو معروف ، ١٩٥٤ ، ص ١٦٢) .

ويبدو لي ان الرأي الثاني هو الاصوب لان العملية مقصودة ومدبرة ومخطط لها من قبل الثوار ، لان سلطان الاطرش عندما وصل الى نبع الفارعة للتشاور مع زعماء الجبل لوضع خطة لوقف تقدم الجيش الفرنسي والدفاع عن السويداء ، وان الهزيمة التي تعرض لها الدروز في صباح اليوم الاول والثاني من اب لم تفشل وتقلل من عزيمة الدروز للانقضاض على مؤخرة الجيش الفرنسي ، فضلا عن القرى التي اشتركت في الهجوم على مؤخرة الجيش ساهمت مساهمة فعالة في سحق الجيش الفرنسي والاستيلاء عليه واخذ الغنائم .

عاد الامل الى نفس سلطان ونفوس المقاتلين النصر الذي تحقق ، فبادر فورا الى ارسال الرسل الى القرى لاعلامها بما جرى واستنفارها وتهيئتها لمعركة الغد لاتمام العمل الذي قام به ثوار الدروز والانضمام اليهم (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص١٣١) .

بدأت معركة المزرعة في صباح اليوم الثالث من اب ١٩٢٥ وكان المقاتلون يزحفون بقيادة سلطان الاطرش الى نبع المزرعة ويحيطون بالجيش الفرنسي الذي خيم عنده ، واقام الاستحكامات حوله ، مشاة يتسللون بين الصخور السوداء وفرسان يهمزون خيولهم والجميع مستعد للاخذ بثأرهم من هزيمة الامس ولاشفاء الغليل في الصدور وتحقيق امنية في النفوس الا وهي قهر المحتل واجلائه عن البلاد (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ، ص١٣٢) .

بدأت المعركة حامية الوطيس وكان حظ الدروز من النجاح يبدوا نظريا اقل بكثير من حظ الاعداء لانهم مهاجمون مكشفون واسلحتهم خفيفة وهؤلاء محصنون في خنادقهم متمركزون خلف استحكاماتهم واسلحتم ثقيلة ، وطالما ظل بمقدور الفرنسيين استعمال مدافعهم ومصفحاتهم واسلحتهم الرشاشة ، ظل وضعهم حسنا يحصدون المهاجمين بنيرانهم ، لكن الوضع انقلب لمصلحة الدروز حين استطاعوا الالتحام بهم وبطل عمل اسلحتهم الثقيلة وحولوا المعركة في معضمها للقتال بالسلاح الابيض فاستطاع الدروز ان يبيدوا بالسيوف والخناجر والفؤوس وبعض البنادق حملة تفوقهم عددا وعدة و يسيطروا على اروع ملحمة في تاريخ سوريا الحديث وغنموا اسلحة وذخائر سلحوا بها العزل وتمكنوا بواسطتها من متابعة القتال وثأروا لمعركة ميسلون وبرهنوا للجنرال غورو الذي وقف امام قبر صلاح الدين الايوبي بعد معركة ميسلون وقال ((ها نحن جئنا و لن نخرج ، فاين جنودك يا صلاح الدين)) ، انهم احفاد صلاح الدين الذين سيخرجون الصليبيين الجدد من المشرق (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١ ،ص١٣٣) .

التجأ بعض الهاربين و التائهين من الجيش الفرنسي الى كناكر وضمن سلامتهم بن مختار كناكر وسلمهم الى سلطان الاطرش،وقد صدم الفرنسيون بهذه النتيجة و ذهلوا وعمدوا في البداية الى التضليل واخفاء الحقائق والتقليل من الخسائر ومن اهمية هذا الحدث ،ويذكر الكابتن بورون ((وفي المزرعة قضي على حملة ميشو القادمة لمعونة المحاصرين قضاءً مبرماً)) (سلطان الاطرش، ٢٠٠١،ص١٣٨).

تطرق صاحب كتاب الذهبي لجيوش الشرق ((ان الحملة اضطرت ان تلتوي تاركةً ورائها الخسائر الذريعة)) (لجيوش الشرق ،١٩٣٩،ص١٤١).

خسر الدروز الفرصة الذهبية في القضاء على الفرنسيين وطردهم نهائياً ،لو استثمروا انتصار معركة المزرعة الذي يوصف بأنه انتصاراً باهراً ، فلا سلطان امر ثواره بأكمال الهجوم على الفرنسيين الذين كانوا مشلولي القوى يجتازواً اخطر مرحلة واسوأ وضع منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، ولا القرى والمناطق السورية هبت لتكمل ما بداه الدروز او تسهم فيه بسرعة ، ولو حصل هذا لكان ادى الى طرد الفرنسيين نهائياً (مذكرات عبدالرحمن ،د.ت، ص٧١).

قد تكون هناك اسباب منعت الدروز من مواصلة الهجوم على الفرنسيين منها :

١-وجود فرقة للفرنسيين في قلعة السويداء يمدونها بالذخائر والمؤن بواسطة الطائرات ويقصفون السويداء يومياً من البر والجو لتخفيف الضغط عنهم ، في حين يصر الدروز على مهاجمتها واحتلال القلعة لتطهير الجبل كلياً من الوجود الفرنسي والتخلص من اضرار مدافعها التي تشترك ايضاً في قصف السويداء .

٢-تحفظ سلطان المرور في الاراضي الحورانية بسبب تحالف قبائل السلوط مع الحكومة الفرنسية التي عقدت وطورت بتدخلاتها الخلافات القديمة بينهم وبين الدروز (سلطان الاطرش،٢٠٠١،ص١٣٩).

٣-رفض زعماء حوران اقتراب الدروز من اراضيهم .

٤-عدم وجود اي اتفاق مسبق بين سلطان الاطرش و بين زعماء دمشق وسائر المناطق السورية ، يحدد فيها موعد الثورة وكيفية قيامها وتنسيق شؤونها وخطواتها (سلطان الاطرش ، ٢٠٠١، ص١٤٠).

يبدو لي ان النقطة او الفقرة الرابعة هي السبب المهم الرئيسي الذي منع الدروز من ملاحقة والهجوم على الفرنسيين ، والشيء الاخر انه لم تكن هناك استجابة فورية من سائر المناطق السورية التي كان يجب ان تبدأ بعد معركة الكفر او معركة المزرعة.

كلفت السلطة الفرنسية الكابتن رينو وترجمانه النديق وعبد النجار باجراء مفاوضات الصلح مع الدروز وفي قرية الثعلة في دار نجم الدين، قدم سلطان الاطرش بعد الاتفاق مع الحاضرين في٨/أب/١٩٢٥، شروط الدروز منها المدة القصوى للمفاوضات ثلاث ايام واشتراك الامير فؤاد ارسلان فيها ، اطلاق سراح المنفيين من زعماء الجبل والمعتقلين مقابل تسليم الأسرى الفرنسيين ،وقف القصف الفرنسي لقرى الجبل من قلعة السويداء وحوران (جبل الدروز ،١٩٦١،ص٤١٤).

رفضت هذه الشروط من قبل الفرنسيين لان رغبتهم كانت كسب الوقت لا للتفاوض وعقد الصلح وانهاء الازمة ، بل كان تخطيطهم سحق وانهاء الثورة الدرزية ، ريثما تصل قواتهم العسكرية الجديدة التي طلبوها من فرنسا ومن مستعمراتهم القريبة (جبل الدروز ، ١٩٦١،ص٢٩٤-٢٩٥).

كان لحضور الوفد الدمشقي في اواسط أب ١٩٢٥ الى الجبل الاثر الكبير في توقف المفاوضات الدرزية الفرنسية وعملاً بمبدأ الاتفاق الذي توصل اليه مع زعمائه (لجيوش الشرق ،١٩٣٨،ص١٤٥).

ان تأخر قيام الثورة في دمشق وفي سائر المناطق السورية ، شهرين ونصف سمح للفرنسيين ان يستقدموا الامدادات من فرنسا عبر مرفأ بيروت ،ويتوجهوا الى الجبل بكل قواهم ، ويجهزوا حملة لتخليص الحامية الفرنسية المحاصرة في قلعة السويداء (سلطان الاطرش، ٢٠٠١ ، ص ١٤٣).

بدأت اولى محاولات توسيع نطاق الثورة مع الوفد الدمشقي الذي بايع سلطان بالقيادة العامة ، واتفق معه لنقل الثورة الى دمشق في ١٧/أب /١٩٢٥ ، وتاريخ الاتفاق يعتبر نظرياً تاريخ تحول الثورة الدرزية الى ثورة سورية كبرى ،اما عملياً فتحولها لم يحصل الا عند انتقال الثورة الى حماه، وتضمن الاتفاق ان تزحف قوات درزية نحو دمشق ويلاقيها الثوار الدمشقيون ،وان لا يعقد الدروز صلحاً منفرداً مع الفرنسيين ، وان يحتفظ الجبل بالقيادة (سلطان الاطرش،٢٠٠١،ص١٤٨).

وفعلاً تم ارسال ١٥٠٠ مقاتل من جبل الدروز نحو دمشق وعند وصولهم الى منطقة العادلية هاجمتهم الطائرات الفرنسية و اوقفت زحفهم ولم يتقدم الدمشقيون لملاقاتهم حسب الخطة الموضوعة (فوزي القاوقجي،١٩٧٥،ص٨٩).

ان جميع المفاوضات العلنية والشخصية بين (الدروز و الفرنسيين) قد وصلت الى طريق مسدود ، فلا القيادة العامة للثورة وافقت على ألقاء السلاح قبل الحصول على ضمانات ولا المندوب السامي عدل منهجه السياسي ، اذ انه كان يريد استسلاماً من الثوار لا سلاماً يثبت العلاقات بين البلدين على اسس متينه ، لذا كان لا بد من جولة عسكرية تتقرر على ضوئها مواقف جديدة (مذكرات سلطان ،١٩٧٩،ص١١٩).

كان واضحاً ان ثورة جبل الدروز لن تفلح في مواجهة اصرار الحكومة الفرنسية والقوات الفرنسية الا اذا ادت الى خلق حركة سياسية في اوربا قادرة على الضغط لتبديل السياسية الفرنسية (سوريا ولبنان ، ١٩٧٨،ص٢١٦).

اصدر المندوب السامي قراراً يقضي بمصادرة ممتلكات زعماء الثوار لانهم حرضوا اتباعهم على الثورة ، ولم يذكر سلطان بالاسم لكنه عناه، لانه زعيم زعماء الثوار ، وقد نفذ القرار وصادرت املاكه ، كما اصدر الفرنسيون حكم الاعدام على سلطان الاطرش للمرة الثانية ، كانت الاولى عام ١٩٢٢ اثر ثورته ، وهذه المرة عقب ثورته عام ١٩٢٥، بعد ان تم تشكيل المجلس العدلي الذي اصدر حكمه بالاعدام في ٢٧/ايار/١٩٢٦ (وثائق جديدة ،١٩٦٥،ص١١٠؛ صانعوا الجلاء ،١٩٩٧،ص٣٥٠-٣٥١).

اعلن المندوب السامي العفو في١٢/حزيران /١٩٢٦ عن جميع مشايخ واعيان وعموم جبل الدروز (العرب) ،ما عدا خمسة منهم سلطان الاطرش ، متعب الاطرش ، زيد الاطرش، صياح الاطرش وعقلة القطامي (سوريا والانتداب ، ١٩٨٣،ص٢٠٦).

اصدر المفوض السامي في ١٦/شباط/١٩٢٨ فور تعيينه حكومة الشيخ تاج الدين الحسني قراراً بالعفو العام ، شمل الذين استسلموا سابقاً او يستسلمون خلال ثلاثين يوماً من توقيع المرسوم ، واستثنى من قرار العفو سلطان الاطرش ، عقلة القطامي ومحمد عز الدين الحلبي من جبل الدروز (سوريا و الانتداب ،١٩٨٣، ص٢٠٧).

صدر قرار العفو عام ١٩٣٤ عن الزعماء واستثنى منه سلطان الاطرش ، عادل ارسلان ،شكيب ارسلان واحسان الجابري ، وبذلك يكون سلطان وبعض القادة قد استثنوا من العفو للاعوام (١٩٣٤،١٩٢٨،١٩٢٦) وظلوا بعيدين عن الوطن الذي بذولوا في سبيله التضحيات ورخصوا الاموال والارواح ، لكنهم عجزوا عن تحقيق امانيهم في الوصول الى اهدافهم بتحرير وطنهم ، وان كانوا قد مهدوا لذلك وعبدو طريقه (مذكرات عادل ، ١٩٨٣،ص٦٤).

ويبدو لي ان عدم تنفيذ حكم الاعدام بسلطان يعود الى اعتقاد الفرنسيين بأمكان التفاوض معه واعادت الامور الى مجراها الطبيعي هذا جانب والجانب الاخر عدم قدرة الفرنسيين من الوصول اليه والامساك به وتنفيذ حكم الاعدام ، بل يمكن القول ان الشخصيات الوطنية التي لم يشملها العفو ، كان لهم تأثير فعَال في مجريات الاحداث والثورات والمعارك ، مما تسببوا بخسائر كبيرة لفرنسا على الصعيد السياسي والعسكري

والاقتصادي ، فضلاً انهم وجهوا رسالة بأن سوريا قد تخسر حرباً او معركة او تحتل ، لكن في النهاية سوف تحصل على الحرية والاستقلال عاجلاً ام اجلاً مهما بلغت التضحيات .

صدر مرسوم العفو عن سلطان الاطرش ورفاقه في ١٨/ايار /١٩٣٧ واتخاذهم قرار العودة الى ارض الوطن ، وشكلت لجنة لتكريمهم في عمان وتقاطرت الى سينما البتراء في عمان الالاف من الناس الذين لم تتسع لهم قاعاتها (وثائق جديدة ، ١٩٦٥ ، ص٣٤٤) .

صدر عن مجلس ادارة محافظة جبل الدروز في ٧ / ايلول / ١٩٤٤ القرار الاتي :

ان مجلس محافظة جبل الدروز قرر بالاجماع الاندماج النهائي بسوريا الام والغاء الامتياز المالي والاداري الذي كانت تتمتع به هذه المحافظة سابقا على ان تبقى احكام الشرع الدرزي مطبقة في المحاكم المذهبية الدرزية بدون مساس ، فكان ذلك انتصارا كليا لفكرة سلطان الاطرش الوحدوية ، وتحققت في عام١٩٤٥ اهداف الثورة التي اشعلها سلطان الاطرش عام ١٩٢٥ والتي حالة ظروف محلية واقليمية ودولية دون نجاحها ، فاستكمل السوريون وحدتهم ونالوا استقلالهم وارسوا حكمهم على اسس دستورية منبثقة من ارادة الشعب (بنو معروف ، ١٩٥٤ ، ص١٩٦) ، وتحولت دولهم بأستثناء الاسكندرونه الى محافظات تابعة للحكم المركزي في دمشق وبخسائر اقل وبجهود سياسية اكثر مما بذلوه عام ١٩٢٥ ، تمكنوا في ظروف دولية مؤاتية من الوصول الى دولة الاستقلال ويعود الفضل الاول الى الثورات العديدة التي كان للدروز البصمة والدور الواضح والكبير التي قامت بوجه الفرنسيين وخاصة الثورة السورية الكبرى لان ما جنى من ثمار نَعَم بها السوريون في الاربعينيات تم زرعه في العشرينيات بالتعب والعرق والدم والدموع ، وبهذا اصبح لسلطان لقبان مترادفان مع بعضهما ، القائد العام للثورة السورية الكبرى وبطل الاستقلال (الدروز ، ١٩٧٤ ، ص٢٩٠) .

الخاتمة

كان لجهاد الدروز وسلطان الاطرش خلال هذه الثورات نتائج منها :

١-لم يفسح للدروز المجال ليعبروا عن ارائهم ومبادئهم واهدافهم في ثورة ١٩٢٢ لان الوضع في الجبل وصل انذاك مرحلة التفجير الشامل .

٢-كانت ثورة ١٩٢٥ اوسع مدى واطول زمناً واعظم تأثيراً ، وظهرت مبادى الدروز واهدافهم بوضوح وعبرت عن واقعهم وطموحاتهم .

٣-اكد الدروز على ان الحق يُؤخذ ولا يعطى واعتماد قوة السلاح لتحقيق المطالب.

٤-كان جهاد الدروز في سبيل الوطن مقدس ومشروع والايمان بالسيف بعد ان سكت القلم لتحقيق الحرية والدفاع الوطن .

٥-تحميل الفرنسيون مسؤولية سفك الدماء لانهم اجبروا الاهالي على حمل السلاح واللجوء الى العنف.

٦-حث الدروز ، ان المستجيب لنداء الثورة وطني والمستنكف والمتخلف عنها خائن .

٧-عمل الدروز على ان تكون الثورة سورية وطنية شريفة والحث على ضرورة الاتحاد والتضامن الوطني والايخاء القومي ومحبة الوطن ، الدين لله والوطن للجميع .

الله ولي التوفيق

المصادر

اولا الكتب العربية :

١-ادهم الجندي ، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي ، دمشق ، ١٩٦٠ .
٢-اسماعيل احمد ياغي، تاريخ العالم العربي المعاصر مكتبة العيبكان ، الرياض ، ٢٠٠٠.
٣-امين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، طبع عيسى الحلبي ، البابيني و شركاء ، ١٩٧٧ .
٤-حسن الحكيم ، مذكراتي ، بيروت ، ١٩٦٥ .
٥-حسن امين البعيني ، دروز سوريا و لبنان في عهد الانتداب الفرنسي ١٩٢٠-١٩٤٣ ، دراسة في تاريخهم السياسي ، المركز العربي للابحاث و التوثيق ، بيروت ،١٩٩١.
٦-حسن امين البعيني ، سلطان باشا الاطرش ، مسيرة قائد في تاريخ امه ، ط٢ ، بيروت ٢٠٠١ .
٧-حنا ابي راشد ، جبل الدروز، منشورات مكتبة الفكر العربية و مطبعتها ، بيروت ، ١٩٦١.
٨-خيريه قاسميه ، ((مذكرات فوزي القاوقجي)) جزءان ، دار القدس ، بيروت ، ١٩٧٥.
٩-زين نور الدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الاوسط و ولادة دولتي سوريا و لبنان ، بيروت ، ١٩٧٧ .
١٠- سعيد الصغير ، بنو معروف ، الدروز في التأريخ ، بيروت ، ١٩٥٤ .
١١- سلامه عبيد ، الثورة السورية الكبرى ، دار الغد ، بيروت ، ١٩٧١ .
١٢- سلطان الاطرش ، (مذكرات سلطان الاطرش) ، جزءان ، مطبعة الشرق العربية، القدس ، ١٩٧٩ .
١٣- شبلي العيسمي ، التعريف بمحافظة جبل العرب ، دمشق ، ١٩٦٢ .

١٤- ظافر القاسمي ، وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٥ .

١٥- عبدالله حنا ، الحركة العمالية في سورية ولبنان ١٩٤٠-١٩٤٥ ، دمشق،١٩٧٣.

١٦-عبدالله النجار، بنو معروف في جبل حوران ، المطبعة الحديثة ، دمشق، ١٩٢٤ .

١٧-عبدالرحمن الشهبندر، (مذكرات الزعيم الشهيد الدكتور عبدالرحمن الشهبندر-ثورة سوريا الكبرى) ، دار الجزيرة ، عمان ،د.ت .

١٨-عبدالرحمن الكيالي ، الجهاد السياسي ، حلب ، ١٩٤٦ .

١٩-علي رضا ، قصة الكفاح الوطني في سورية ، حلب ،١٩٥٨ .

٢٠-فؤاد غصن ، مذكراتي خلال قرن، بيروت ، د.ت .

٢١-محمد كرد علي ، خطط الشام ، ثلاثة اجزاء ، دار الملايين ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٢٢-منير الريس ، الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي- الثورة السورية الكبرى ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٢٣-نجاة قصاب حسن ، صانعوا الجلاء في سورية ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، ١٩٩٧ .

ثانياً الكتب الاجنبية :

٢٤-بول كوبلنز ، سكوت ساراي ، ترجمة فريدريك زريق ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٣٦ .

٢٥-جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسد و احسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨ .

٢٦-ستيفن همسيلي لونغريغ ، سوريا و لبنان تحت الانتداب الفرنسي ، ترجمة بيار عُقل ، دار الحقيقة ،بيروت ، ١٩٧٨ .

ثالثاً الصحف و المجلات :

٢٧-صحيفة البشير ، العدد ٢٩٠١ في ١٧/اب/١٩٢٢ .

العدد ٣١٢٠ في ١٢/كانون الثاني /١٩٢٤ .

العدد ٣١٥٨ في ١٠/نيسان/١٩٢٤ .

العدد ٣١٥٩ في ١٢/نيسان/١٩٢٤ .
٢٨- جريدة المعرض ، العدد ١٣٧ في ٧/ايلول/١٩٢٢ .
٢٩-روز اليوسف ، مجلة ، العدد١٨ ، اذار ، ١٩٢٦ .
٣٠-يوسف ابراهيم يزبك ، مجلة الضحى، مقالة بعنوان (سلطان باشا الاطرش البطل) ، عدد ايار، ١٩٧١.